ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

الشيطان الأكبر..الولايات المتحدة ودورها في إشعال الصراعات العالمية

محمد حسين

الشيطان يعيش على الصراعات والاقتتال بين الإنسان وأخيه الإنسان. لم يكن الشعار الذي أطلقه مفجّر الثورة الإسلامية في إيران، الإمام روح اللّه الخميني(قده): «أمريكا الشيطان الأكبر»، مجرد هتاف يُردَّد في التظاهرات والمهرجانات، بل كان تعبيراً فلسفياً وأيديولوجياً عميقاً، يكشف عن حقيقة الدور الذي تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية في الصراعات الإقليمية والدولية. هذا التوصيف لم يكن محصورًا في إطار العلاقة المتوترة بين طهران وواشنطن، بل كان يعبّر عن موقف أوسع يشمل كل المستضعفين في العالم، الذين ذاقوا ويلات السياسات الأمريكية المباشرة وغير المباشرة.

أينما نظرنا في خريطة النزاعات، نجد آثار «الشيطان الأكبر» ماثلة في دعم الانقلابات، إذكاء الحروب، إشعال الفتن، وفرض الحصارات، ناهيك عن التهجير والمجازر وتدمير البلدان تحت شعارات الحرية والديمقراطية ونشر السلام في العالم. وليس من العبث أن استخدم الإمام الخميني(قده) أداة التعريف في عبارته؛ فـ«الشيطان الأكبر» تعني التفرّد في موقع الريادة ضمن معسكر الشر، فلم يصفها بأنها «شيطان» فحسب، بل بـ«الشيطان الأكبر»، في إشارة إلى موقعها المتقدّم في صناعة الفتن وتصدير الدمار.

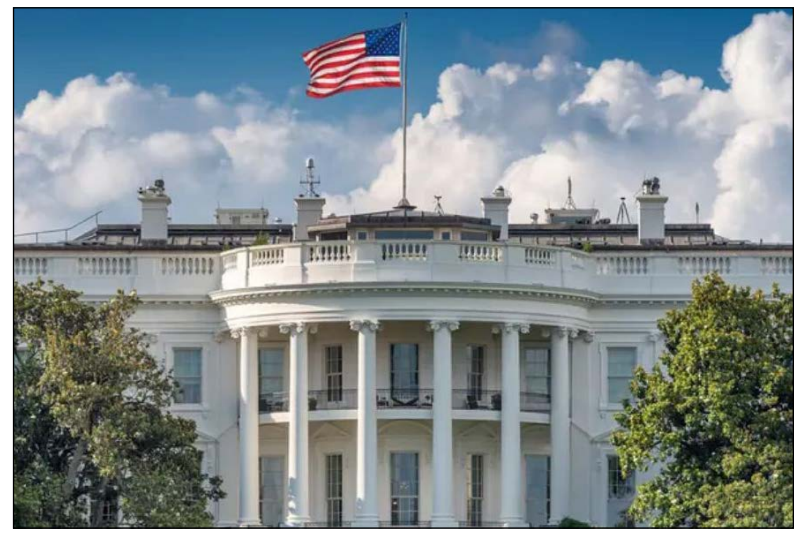

أولاً: أمريكا كمهندس للصراعات العالمية

الحرب الباردة وما بعدها

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، نصّبت أمريكا نفسها وصيًّا على العالم. فكان مشروع «مارشال» المزعوم لإعادة إعمار أوروبا. لم يكن ذلك كرماً إنسانيّاً، بل بوابة لفرض الهيمنة الاقتصادية والسياسيّة، وتمهيداً للحرب الباردة التي خاضتها ضد الاتحاد السوفيتي. كانت هذه الحرب غير معلنة في ساحات كثيرة، لكنها دموية في كوريا (١٩٥٠-١٩٥٣)، حيث قُتل ملايين المدنيين بذريعة محاربة الشيوعيّة، وفي فيتنام (١٩٥٥-١٩٧٥)، حيث ارتكبت القوات الأمريكية مجازر يندى لها الجبين، وأُبيدت قرى كاملة باسم «الحريّة".

أمريكا وروسيا وأوكرانيا

الحرب في أوكرانيا لم تبدأ عام ٢٠٢٢، بل حين قادت أمريكا انقلاب ٢٠١٤ في كييف، فأقصت القوى الموالية لموسكو. ثم تسليحٌ، وتحريض، وحرب وكالة تدفع أوروبا ثمنها، بينما تستفيد أمريكا من استنزاف روسيا ومنع تشكل عالم متعدد الأقطاب.

ثانياً: أمريكا في الشرق الأوسط – نار لا تنطفئ

لبنان... الغطرسة الأمريكية تحطمت في بيروت

عام ١٩٨٢ دخلت أمريكا الساحة اللبنانية، محاولةً فرض نفوذها العسكري والسياسي تحت ذريعة «حفظ السلام» ضمن القوات المتعددة الجنسيات، بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان. أرسلت أمريكا قوات المارينز إلى بيروت، ليس لحماية المدنيين كما زعمت، بل لدعم القوى المرتبطة بالمصالح الغربية والصهيونية، وعلى رأسها حكومة أمين الجميل.

لكن المقاومة اللبنانية، وعلى رأسها القوى الوطنية والإسلامية، لم تقبل بهذا الاحتلال المقنّع. ففي أكتوبر ١٩٨٣، جاء الردّ الصاعق بعملية نوعية استهدفت مقرّ المارينز في بيروت، فأسقطت أكثر من ٢٤٠ جنديًا قتلى في ضربة واحدة، ما اعتبر من أقسى الضربات التي تلقّتها واشنطن منذ فيتنام. أدّت هذه العملية إلى انسحاب القوات الأمريكية من لبنان مذلولة، في مشهد فضح هشاشة المشروع الإمبريالي حين يواجه إرادة الشعوب الحرة.

غزو العراق

في عام ٢٠٠٣، كذبة «أسلحة الدمار الشامل» مهّدت الطريق لغزو دمّر بنية الدولة، وقتل أكثر من مليون عراقي، وسلب خيراتها من الذهب والنفط وزرع بذور الفتنة الطائفية التي لولا حكمة المرجعيّة والأطراف الوازنة لكانت الحرب الأهليّة قضت عليه بالكامل.

احتلال أفغانستان

بذريعة «الحرب على الإرهاب»، في عام ٢٠٠١ غزت الولايات المتحدة الأمريكية بلداً أنهكته الحروب، لتتركه بعد عقدين من الاحتلال أكثر فوضى وتطرفاً، بعد أن سلّمته لطالبان التي كانت مبررَ الحرب أصلاً.

تحويل سورية من دولة ممانعة إلى جبهة مفتوحة

لم تكتفِ الولايات المتحدة بدعم الفصائل المسلحة وإدارة الحرب عبر أدواتها، بل دخلت الصراع بوجه سافر من خلال وجودها العسكري المباشر في منطقة التنف ومناطق شرق الفرات، بحجة «محاربة الإرهاب». لكن الواقع يكشف أن هذا التواجد لم يكن سوى محاولة لاقتطاع الجغرافيا السورية والتحكّم في ثرواتها، لا سيما النفط، وقطع الطريق على محور المقاومة. ويضاف إلى كل هذا قانون قيصر الذي زاد من معاناة الشعب السوري.

عقد التحالفات للحرب على اليمن

منذ العدوان عام ٢٠١٥، كانت أمريكا العقل المدبّر والداعم اللوجستي الأول لعاصفة الحزم، والتي كانت حربًا عالميّة بالوساطة على أطفال اليمن في مشهد يفضح زيف ادعاءات حقوق الإنسان ونشر السلام في العالم.

واليوم تقف أمريكا في خندق واحد مع الكيان الصهيوني في عدوان مزدوج على اليمن وفلسطين، فهي تخوض معركة واحدة على جبهتين ضد كل من يرفع راية المقاومة ويدافع عن المستضعفين. فـ«أنصار اللّه» الذين يجاهرون بمناصرة الشعب الفلسطيني ويدعمونه بالصواريخ والمواقف، تصفهم أمريكا بـ«الإرهابيين»، بينما تصف الكيان الصهيوني – الذي يرتكب المجازر يوميًا في غزة – بأنه «يدافع عن نفسه"!

فاليوم لم تعد الغارات على اليمن تُشن فقط من قبل أدوات واشنطن في الخليج، بل تشارك فيها الطائرات والبوارج الأمريكية جنبًا إلى جنب مع الطائرات الصهيونية، في استهداف مباشر للمدن اليمنية، والموانئ، والبنى التحتية، بدعوى «ردع التهديدات عن الملاحة البحرية» أو «منع الهجمات على إسرائيل»، لكن الحقيقة التي لا يمكن حجبها: الولايات المتحدة تنفذ مجازر بحق اليمنيين لمجرد مساندتهم للشعب الفلسطيني.

ليس الأمر مجرد تقاطع مصالح، بل تحالف أيديولوجي بين كيان استعماري استيطاني وقوة إمبريالية مهيمنة، هدفه المشترك: كسر إرادة الشعوب الحرة، وتجويعها حتى ترضخ، أو تُباد.

فمن أين جاء الإرهاب؟ من الصواريخ التي تنطلق دعمًا لغزة؟ أم من القنابل الذكيّة التي تقتل الأطفال في صعدة وتعز وغزة في آنٍ واحد؟

الجواب واضح: الشيطان لا يلبس عباءة بيضاء، بل يحمل توقيع "Made in USA".

ثالثاً: الفوضى الخلاقة... الربيع العربي أداة للسيطرة

باسم الديمقراطية، أطلقت أمريكا العنان للفوضى في دول عربية:

- ليبيا (٢٠١١): تدخل الناتو بقيادة أمريكية فأسقط القذافي، وترك ليبيا غارقة في الفوضى.
- كذلك في تونس (٢٠١٠) ومصر (٢٠١١): إعلام، تمويل، وتحريض لإعادة تشكيل أنظمة على هوى واشنطن.

مع العلم أن بعض الأنظمة السابقة لم تكن بعيدة عن المشروع الأمريكي، ولكن تنتهي صلاحيتها، فتركب أمريكا موجة الشعوب لإعادة خلط الأوراق وتحميل أدواتها السابقة مسؤولية الأزمة.

رابعاً: أمريكا الجنوبية... مختبر الانقلابات والهيمنة

تشيلي (١٩٧٣)

أسقطت حكومة أليندي المنتخبة، ودعمت بينوشيه الذي قتل الآلاف.

فنزويلا

من هوغو تشافيز (الانقلاب عام ٢٠٠٢) إلى نيكولاس مادورو عام ٢٠١٣، وصولًا إلى العقوبات القاسية على صادرات النفط، وفرض حصار اقتصادي شامل، بهدف خنق النظام وإشعال اضطرابات داخلية.

كوبا، بوليفيا، نيكاراغوا

حصار، انقلابات، تدخلات... كل دولة رفضت التبعية، عوقبت.

خامساً: أمريكا في القوقاز – أرمينيا وأذربيجان

لعبت أمريكا على التوازنات الحساسة، وتدخلت سياسيًا وإعلاميًا، لتوسيع نفوذها على حدود روسيا وإيران. هدفها ليس الحل، بل خلق نقاط توتر دائمة بالاستفادة من النزاعات العرقية والدينية.

خاتمة: مواجهة الشيطان الأكبر... بين معركة الوعي ومعركة الوجود

لم تكن تسمية الإمام الخميني(قده) للولايات المتحدة بـ«الشيطان الأكبر» مجرد خطاب تعبوي، بل قراءة إستراتيجية لطبيعة نظام يقيم بنيانه على الحروب، ويصنع اقتصاده من تجارة السلاح والدمار، ويُعلي مصالحه على جثث الأبرياء. إننا أمام منظومة هيمنة لا تعرف الاستقرار إلا إذا احترق العالم من حولها.

أمريكا لا تملك مشروعًا حضاريًا، بل تملك آلة قمع مغطاة بخطاب «نشر السلام في العالم». هي تخلق الأزمات ثم تأتي كمنقذ، تزرع العملاء ثم تصفهم بالثوار، تدعم الاحتلال ثم تروّج للسلام، إنها الشيطان الذي يقاتل اللّه في خلقه.

لكن في وجه هذا الشيطان، تقف أمم لا تزال تؤمن بالمقاومة، وشعوب لا تنكسر، ومحور لا يزال يراهن على الكرامة. من غزّة إلى صنعاء، ومن طهران إلى كاراكاس، ومن بيروت إلى بغداد وصولاً إلى كل مدن أحرار العالم، تتشكل اليوم ملامح عالم جديد، يُولد من رماد الحروب التي أشعلها الشيطان، عالم لا مكان فيه للهيمنة الأمريكية.

فالساكت عن الشيطان الأكبر، شيطان أخرس.

كيان الاحتلال يسقط في فخ الغموض الاستخباري

حسين مرتضى

لم نعد أمام حرب تقليدية بالمعنى العام، بل اليوم نحن أمام حرب استخبارية ذات طابع أمني متقدّم، حيث يتخذ العمل الاستخباري أشكالاً وأساليب متنوعة لجمع المعلومات والوثائق السرية الحساسة. هذه الحرب الجديدة تعتمد بشكل أساسي على تقنيات التجسّس الإلكتروني، العمليات المعقدة للتسلل، والاستحواذ على بيانات وملفات سرية تُعتبر حاسمة في تحديد ميزان القوى بين الأطراف المتنازعة.

منذ فترة زمنية قصيرة، أعلنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية عن نجاحها في تنفيذ عملية استخبارية نوعية ضدّ كيان الاحتلال الصهيوني، تمكّنت خلالها من الاستيلاء على أرشيف ضخم يتضمّن ملفاً نووياً حساساً يخصّ «إسرائيل».

هذا الأرشيف، الذي يحتوي على معلومات تفصيلية عن الترسانة النووية «الإسرائيلية» بما في ذلك المنشآت النووية، خرائطها، ونقاط ضعفها، يُعتبر ضربة نوعية للأمن الإسرائيلي، إذ كشف عن تفاصيل كانت سراً محكماً لسنوات طويلة.

بفضل هذا الكشف، أصبحت إيران تمتلك ورقة قوية يمكنها من خلالها إعادة رسم معادلات الردع في المنطقة. لم يعد بإمكان «إسرائيل» فرض قواعد اشتباك جديدة في ظلّ هذه المتغيّرات التي هزت الإقليم وأسقطت أحد أهمّ أوراقها الأمنية.

مع استحواذ إيران على هذه المعلومات، لم تعد المعادلة الأمنية في الشرق الأوسط على حالها، فقد تحوّلت إلى حالة من التوازن المتغيّر والمتحرك.

وفي هذا السياق، باتت الحكومة الإيرانية في موقع يمكنها من استخدام هذا الأرشيف على المستوى الدولي لكشف حقيقة ما تملكه «إسرائيل» من أسلحة دمار شامل، وبالتحديد السلاح النووي.

هذا الكشف قد يسقط كلّ الذرائع التي لطالما استخدمتها «إسرائيل» للتهرّب من الرقابة الدولية، وينهي الغموض الذي كان يحيط بملفها النووي، مما يضع المجتمع الدولي أمام مسؤوليات جديدة في التعامل مع هذا الملف.

وعند النظر إلى طبيعة الحرب الجديدة، يتضح أنّ «إسرائيل» بالرغم من تفوّقها التقني والأمني، واستخدامها للجيل الخامس من الحروب والتقنيات المتقدّمة مثل الذكاء الاصطناعي، إلا أنها فشلت في حماية أحد أهمّ ملفاتها السرية. وهذا يشير إلى أنّ التفوق التكنولوجي لم يعد حكراً على جهات معينة، وأنّ ساحة الصراع أصبحت مفتوحة أمام عمليات استخباراتية معقدة ومتطورة.

هذا التطور يطرح سؤالاً جوهرياً: هل سنشهد خروقات أمنية جديدة في هيكل الكيان الغاصب؟ لا يمكن إنكار أن سلسلة من الهجمات والعمليات الاستخبارية قد تضاعفت خلال السنوات الأخيرة، خاصة مع تصاعد التوترات الإقليمية، ومنها «طوفان الأقصى» الذي شكل نقطة تحوّل مهمة في الصراع، حيث لم يتمكن العدو الصهيوني من فرض مشروعه الكامل رغم نجاحات محدودة في مناطق معينة، وذلك بسبب إرادة المقاومة والدعم الدولي الذي تلقته.

وفي ظل استمرار الحرب سجالاً متواصلاً، يؤكد ما يجري اليوم على الساحة الإقليمية والدولية أنّ الصراع لن ينتهي قريباً، وأنّ بوصلة القضية الفلسطينية ستظلّ ثابتة رغم كلّ المتغيّرات. فالمعارك لم تعد تقليدية، بل أصبحت تتخذ أبعاداً متعدّدة تتجاوز الميدان لتشمل ساحات المعلومات والاستخبارات والدبلوماسية الدولية.

ختاماً، يمكن القول إنّ المرحلة الحالية من الصراع تشكل نقطة تحوّل استراتيجية، حيث تداخلت الحروب التقليدية مع الحروب السيبرانية والاستخبارية، لتفتح آفاقاً جديدة في فهم طبيعة الأمن الإقليمي والدولي. وباتت كلّ جهة تسعى لاستثمار المعلومات المكتسبة لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية، مما يزيد من تعقيد المشهد ويجعل من كشف الحقائق وتبادل المعلومات أحد أبرز أدوات المواجهة في هذه الحرب الحديثة.

الحروب مستبعَدة والتسويات بعيدة

ناصر قنديل

لا يبدو توسيع نطاق الحرب في أوكرانيا نحو مواجهة مع الغرب هدفاً روسياً، كما لا تبدو إيران وقوى المقاومة في وضعيّة الحديث عن توسيع الحرب أو شنّ حرب، لذلك يصبح الحديث عن توسيع الحرب وتصعيدها مرهوناً بالسؤال عن نوايا وقدرات أميركا و"إسرائيل"، وعلى جبهة أوكرانيا قطعت أميركا أشواطاً على طريق الانسحاب من الحرب والتسليم بالنصر الروسيّ بل الذهاب إلى تسويق هذا النصر والدعوة للتأقلم معه تفاوضياً في صياغة أيّ اتفاق يُنهي الحرب. والحديث هنا محصور بدقة ماذا عن قرار أميركيّ إسرائيلي بالحرب على إيران؟

المانع الأول أمام قرار الحرب هو تردّي الأوضاع الداخلية في أميركا و"إسرائيل"، حيث يواجه دونالد ترامب وضعاً اقتصادياً صعباً وعجزاً صعباً وخطراً في الموازنة، ما يرتّب حاجة ماسة للحفاظ على الاستقرار الخارجيّ وعدم التورّط في الحروب. وهذا قبل اندلاع أحداث كاليفورنيا التي توسّعت نحو تكساس وربما تتوسّع نحو ولايات أخرى مثل أريزونا، والولايات الثلاث كانت حتى عام ١٨٤٨ جزءاً من المكسيك، ويتمركز فيها أميركيّون من أصول لاتينيّة هي في الحقيقة امتداد للسكان الأصليين الذين تمّ تهجيرهم نحو الجنوب عبر المكسيك وإليها، ويعودون بصفة عمالة مهاجرة، لكنهم هنود حمر يعودون إلى أرض الأجداد، بما يجعل المواجهة التي بدأت ولا يعلم أحد متى وكيف تنتهي، شكلاً من أشكال انتفاضة السكان الأصليين في وجه المستوطنين البيض الذين يمثّلون عصب الترامبيّة وعمودها الفقريّ، ولكن بمفعول رجعيّ، وفي "إسرائيل" شيء مشابه في المواجهة التي تهدّد بحل الكنيست وانهيار الحكومة، حيث نوعان من المتديّنين يتواجهون، جماعة ايتمار بن غفير وبتسلئيل سموترتش من جهة وجماعة الحريديم من جهة مقابلة، بما طغى على الانقسام السابق الحاكم بين العلمانيين والمتدينين، بحيث صار معسكر الحرب في وجه معسكر اللاحرب، ومعسكر اللاحرب هو "الإسرائيليّون" الأوائل، ومعسكر الحرب يعتمد على الإسرائيليين الوافدين، بعد إعصار وزلزال سببه الطوفان، وفتح الأسئلة الوجوديّة، تماماً كما فعل التراجع الأميركي على الساحة الدولية في إحياء النزاعات الداخلية وتفعيل ديناميكية انفجارية وانشطارية.

المانع الثاني أمام الحرب هو غياب القدرات اللازمة لخوضها، بعدما قالت المعلومات التي حملتها الحرب الأميركية مع اليمن والحرب الإسرائيلية مع جنوب لبنان وغزة، أن الرهان على القوة النارية في غير محله، والحرب الأميركية على اليمن خير مثال، ومضمون وقف إطلاق النار الذي أجبرت عليه واشنطن وقدّمت فيه تنازلات جوهريّة، يكفي للاستنتاج بأن ما كان مصمّماً لردع إيران، كما قال الرئيس الأميركي دونالد ترامب انتهى بردع أميركا، كما قال اتفاق وقف النار الذي أنهت عبره واشنطن إسنادها لـ"إسرائيل" وواصل اليمن بموجبه إسناد غزة، والذي خرجت بموجبه واشنطن من منازعة السيادة في البحر الأحمر مع اليمن، بالتسليم بالسيادة اليمنيّة وقبول الحياد الأميركي نحوها في أحسن الأحوال، بينما تكفلت حروب "إسرائيل" مع جنوب لبنان وغزة بإنهاء أي أوهام على قدرات "إسرائيل" في الحرب البرية، بعدما فشلت كل فرق الجيش البريّة في إحداث اختراق في جبهة لبنان، وبعدما قالت حرب غزة المستمرّة إن الجيش يفقد العديد البشريّ اللازم، وإنه ينزف، وإنه لا يجد استجابة من الاحتياط ولا يلقى قبولاً في دعوات التطوّع، وإن الروح القتالية لوحداته بما فيها وحدات النخبة تتراجع.

بالمقابل تبدو التسويات بعيدة، وتحتاج حدثاً دراماتيكياً قد تحمله مفاجآت الانهيارات الداخلية الأميركية والإسرائيلية، عندما يصبح وقف الحرب ضرورة للتفرّغ للداخل، ولو بثمن صعب، ورغم أن هذا قد يحدث فجأة إلا أنّه يصعب التنبؤ بموعد حدوثه، وحتى حدوثه تبدو شروط التسويات فوق طاقة الأطراف على تقديم التنازلات، وانطلاقاً من أوكرانيا لا يمكن توقع تراجع روسيّ بينما الميدان يقول عكس ذلك، ويصعب توقع تراجع أوكراني مع تدفق المال والسلاح من أوروبا بما يغري بالبقاء في حال الحرب، ومع وجود دعم استخباري أميركي من وراء ظهر ترامب، وربما لإحراجه وإرباكه، والحال أشدّ تعقيداً في توقع تراجع ترامب أمام إيران بعدما تراجع في ملفي الصواريخ والتحالفات الإقليمية وقبل بإخراجهما من التفاوض ولم يتبق له إلا التخصيب مدخلاً لتحقيق توازن مع مكاسب إيران التفاوضية، بينما لا يبدو نتنياهو قادراً على التخلي عن شعارات لخوض الحرب وقبول اتفاق ينهيها مع بقاء سلاح المقاومة، إلا إذا وفر له الأميركي مخرجاً مناسباً، بمثل ما قد يُخفي كلام ترامب لنتنياهو عن علاقة وقف الحرب بالمساعدة في ملف إيران دون أن يوضح كيف؟